

لا تقتدي بالنريات اللواتي يضارعنَ رجالهنَّ ويسابقنهم في علومهم ومعارفهم
ان العلم للفتاة كالغذاء للجسد وكالزيت للسراج . فهو نور العقل ونبراس الفهم
يزيل من طريقنا الجهالة التي كنا من قبل نسير في ظلامها الدامس
فيا ايها الوالدات لا تهرمنَ بناتكنَّ من التعليم لان الجهل يضربهنَّ ويجهلنَّ
في احط الدرجات . اني لا انكر ان البيت هو المدرسة الاولى لكن العلم هو المدرسة
التسمية الذي به تسمو المدارك وعليه حسن تدبير المنزل ونظام المعيشة
ففسى ان هذه الكلمات على قلمها يصل صداها لى اخواتي الفتيات فينتصحن
بها ولا يمتنعنَ عن الدخول في المدارس اذ هي مهد تربي فيها العقول وتتغذى منها
الافهام بلبان العلم والعرفان بين معلمات حكيمات وصديقات مخلصات

﴿ م . ارمانبوس ﴾

تلميذة بمدرسة الامريكان

﴿ لن يضيع جميل اينما زرعاً ﴾

دقت الساعة التاسعة ذات مساء ولم يعد زوجي الى منزله كعادته فاقلتني ذلك
جداً وظلمت انتظره على احر من الجمر حتى اتصف الليل فاخذت اعد نفسي
كلمات العتاب التي ساقبله بها واذ ذلك دق جرس الباب ودخل منه وهو باسم
الوجه تلوح على وجهه دلائل السرور والهناء وقبلني من جيبني كما كان يعمل كل
مساء فانساني بذلك كلمات العتاب وبادلت ابتساماته بابتسامات تحاكيها

ولم يترك لي فرصة اسأله فيها عن شبيب تقييه بل ابتداً هو الحديث فقال :

— لقد ازعجتك بتأخيرني هذا المساء يا عزيزتي

— نعم خصوصاً وانك لم تعودني التأخير ولم تخبرني انك ستأخر

— لو كنت اعرف اني سأأخر لما فاتني ان اقول لك ذلك

— واين كنت ؟

— كنت اوفي ديناً كان عليّ

-- دين؟ ولمن؟

-- للانسانية يا عزيزتي

-- وكيف ذلك . زدني ايضاحاً فانا لا افهم هذه الالغاز

-- اسمعي يا عزيزتي . لم يمس قلبي السرور اكثر من هذا المساء اذ قدرت

ان افي جيلاً كان عليّ لمن استحق مني الجميل - ليس احلى ولا الذم من الشعور

الذي يشعر به اهل المروءة لانهم يشرون بالسعادة الحقيقية كلما عملوا الجميل . ان

السعادة التي شعرت بها هذه الليلة بل من ساعة واحدة لو وزعت على ايامنا

لكانت كافية لان تبقينا كالانا في سرور دائم طول حياتنا

كم يسرني اني تلقيت اول درس عن المروءة منذ اثني عشر سنة ومن ذلك

التاريخ لم آل جيداً في عمل الجميل والقيام بكل ما تطلبه مني المروءة ومع ذلك

كنت انسى كل ما اعلم ولم يتعد بي شعوري عن حد الارتياح اما هذا المساء

فسروري كان عظيماً كما ان تاريخه لن يذهب من مخيلتي ابد الدهر

منذ اثني عشر سنة حصلت على شهادتي الابتدائية وكنت اذ ذاك في الثانية

عشر ولم اكن اصلح لاي شيء آخر سوى المدارس الثانوية - فقصدت

الاسكندرية وحدي لأول مرة في حياتي بقصد الدخول في المدرسة التجبيرية

بها - وكنت قد كتبت الى ابن عمي هناك ان ينتظرنني على المحطة اذ كنت

معتمداً عليه كل الاعتماد في مهمتي هذه - على اني لما نزلت من القطار لم اجده

في انتظاري فكدرني ذلك جداً لاني لم اعرف المدينة من قبل ولا اعرف كيف

اهتدي الى منزله

وكان اليوم احداً وجميع المحلات التجارية مغلقة وفي جملتها المحل الذي يشتغل

فيه ابن عمي فالتزمت ان ابحث عن منزله واخذت اسأل كل من صادفني وكل

يصف لي جهة مخالفة لتي وصفها الذي قبله . كل ذلك وانا اسمعي على اقدامي بدون

جدوى ولا فائدة

وقد تستغربين اذا قلت لك اني ظلت ابحث عن المنزل حتى الساعة

السادسة مساءً وقد وصل بي القطار الساعة الواحدة بعد الظهر فانهكني التعب وآلمني
الجوع وقد خيم الظلام على المدينة فتولاني شيء من الخوف لاني اذا لم اجد منزل
ابن عمي اراني ملزماً ان ابيت في احدى اللوكندات وانا اهرب ان ابيت
وحدي وانا في هذا السن

دخلت الى مطعم اكلت فيه ما سد جوعي ثم عدت فواليت البحث ومع ذلك
لم اجد من يرشدني الى ضالتي

وفيما انا اسير رأيت شاباً مؤدباً لطيفاً ففكرت ان اسأل هذا ايضاً فاذا لم
استدل منه على شيء سألته عن لوكنده آمن على نفسي ولا اخاف ان ابيت
فيها - تقدمت نحوه وسألته عن المكان الذي ابحت عنه فوقف برهة يفكر ثم
اجابني بوجه باش قائلاً

- لو بحثت حتى الصباح عن هذا المكان فلن تجد من يرشدك اليه

فقلت له وما العمل وقد ظهرت علي الحيرة في الحال فقال لي لا تقاوم ثم
نادى حوذيأً ركبنا في عربته وسارت تخرق بنا عدة شوارع سألتني في اثناها عن
اسمي وسبب ذهابي الى الاسكندرية واعطاني بطاقة عرفت منها اسمه ومركزه ونزلنا
في جهة معلومة ثم اخذنا نسير في طرقات ضيقة حتى عثرنا اخيراً على المنزل الذي
كنا نبحت عنه وهنا اراد مرشدي ان ينصرف فدلي يده مودعاً وارادت ان
اقول له كلمة شكر واحدة فانقصد لساني وخنقتني العبرات

فلما رأني كذلك عطف علي وقال لي

لا تقل شيئاً بالله فقد عرفت ماذا تريد ان تقول فحلت هذه الجملة عقدة
لساني كما انحدرت مدامعي من عيني بفزارة وقلت له وانا ابكي
- قدرك الله على فعل الخير يا سيدي وجزاك عني خيراً ولو كنت اطعم في
ان اراك بعد اليوم لتمنيت ان يقدرني الله ان اسد ما حملتني هذه الليلة من ديون
فسر من ما قلت واجابني

بل يمكنك ان تسد ما عليك وتزيد اذا اردت

— وكيف ذلك يا سيدي؟

— ذلك ان تعاهد نفسك انك اذا صادفك اي انسان ضل عن طريقه
وسألك عنه فارشده وصرمه بدل الميل اثنين ولا تتركه حتى تصل به الى الغاية
التي يرمي اليها

فوعده بذلك وافترقا — وعرفت فيما بعد ان خطابي لم يصل ابن عمي في
ميعاده ولذلك عذرت كل العذر
ومضى على هذا الحادث اثنا عشر سنة كاملة انتهت في اثنا عشر ايامي المدرسية
ووجدت لي عملاً بالقاهرة فاقمت بها

وفيما انا جالس ذات يوم في قهوة اذ رأيت احد اصحابي قادمًا عليّ ومعه
رجل لم اعرفه وسألني عن احد معارفي وقال لي صديقي ان زميله الذي معه غريب
ويريد مقابله هذا المساء لأمر ذي بال

فذكرت في الحال ذلك الدين القديم وخفيت مع الرجل ابحت معه وقد
اعتذر صديقي وفارقنا بعد بضع خطوات

اخذنا نتقل من محل الى محل ومن منزل الى آخر زهاء الساعتين ونحن لا
نهتدي اليه — حتى اذا كلبت ارجلنا جلست واياه في احدى القهوات نظر الى
المارة لعلنا نظفر به ولكن طال انتظارنا واملنا الجلوس بدون جدوى وهممت
بالانصراف لولا حانت مني التفاتة الى بعيد فاذا بشقيق من نبحت عنه يسير
مسرعاً في احدى جانبي الشارع . فناديت وسألته عن اخيه فوعد ان يأتينا به
بعد نصف ساعة

فجلسنا ثانية وقد استولى علينا السكوت مدة فقطعه زميلي قائلاً

ابن كنت مني هذه الليلة يا سيدي فاكفك كل هذه المشاق واتعبك معي
كل هذا التعب فما كان اغناك عن مقابلي

— انا لم افعل الا الواجب عليّ يا سيدي بل انا اسذ ديناً كان عليّ وعدت
ان اسده

- واي دين ؟
- دين عليّ للانسانية - ثم اخذت اقصى عليه رحلتي الى الاسكندرية من اولها الى آخرها وشاهدت عليه اذ ذاك ان اشرق جبينه وابتسم بحياه وقال لي
- وهل تعرف ذلك الرجل الذي ارشدك الى ضالك اذا قابلته الآن ؟
- لا اظن ذلك يا سيدي بعد اثني عشر سنة
- ولا اسمه ؟
- بل اعرف اسمه جيداً وقد نقشته على صفحات قلبي من وقت ما قرأته على البطاقة الصغيرة التي قدمها لي ونحن في العرابة
- فمد محذني يده الى جيبه وهو يتبسم واخرج منها بطاقة ناولني اياها وقال
- هل قرأت ذلك الاسم قبل الآن ؟
- فما نظرت الى البطاقة حتى صحت مندهشاً
- هوذا انت يا سيدي ! ثم قمت وصاغتته وقلبي يكاد يطفح من شدة الفرح حتى كدت ابكي واستأنفت الحديث فقلت له
- كم يسرني انك عرفت بعد اثني عشر سنة اني حافظ عهدي بمعك واني اوفي الدين الذي عليّ بامانة واخلاص
- ولم اصل الى هنا حتى وافى صديقي الذي نبحت عنه واتقطع سياق الحديث ورأيت ان اتركهما ليخلوا لبعضهما وارجع اليك
- وتركتهما على وعد ان نلتقي هنا غداً على مائدة الغذاء - فهلا ساحتيني وعذرتيني على تأخيري هذه الليلة يا عزيزي ؟
- انا لم اعيقك عن القيام بما تفرضه عليك الانسانية من عمل الجميل والمروءة بل اساعدك واعضدك واذا منحت لي الفرص قلدتك يا عزيزي
- وبتنا مسرورين معتبطين ولو كنا كسبنا العالم كله لما كانت سعادتنا ازفر مما كانت عليه تلك الليلة
- مدام ف . ع